

بداية حكاية: "الشعلة والحريق" (2)

من كتاب "عندما يتعري الإنسان"

نشرة "الإنسان والتطور" 2018/04/28

السنة الحادية عشرة - العدد: 3892



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

.. وأنا أو اصل إعداد أعمالى القديمة والجديدة للنشر أو إعادة النشر اكتشفت - فرحاً ومندهشاً -
 - عمق علاقتى بالتطور وعلاقته بممارستى مهنتى منذ بداية البداية.
 فى الأسبوع الماضى نشرت مقتطفاً من كتاب باكر ذكرت أن علاقتى به ليست وثيقة، وإذا بى
 اكتشف أنى سجلت فيه أفكارى منذ البداية: الكتاب كما ذكرت فى الأسبوع الماضى هو "عندما يتعري
 الإنسان"، نشر أولاً عام 1972 وإن كنت قد وجدت أنى وقعتُ مقدمة الطبعة الأولى بتاريخ
 1968، وسجلت ذلك فى طبعة 2017، إذن فقد مضى نصف قرن بالتمام.
 ننشر مقتطف من نفس حكاية الأسبوع الماضى (حكاية: الشعلة والحريق).
 نواصل حوار هذا الشخص الغاضب المكسور الساخط مع الحكيم (الطبيب)
 أكمل الحكيم قائلاً:

 قلت (الحكيم) له (للمريض):
 = ولكنك مازلت تائراً.
 - لا..لا..، كله إلا هذا.. كفانى ثورة.
 = بل أنت تائر على تصوّر فشل الثورة، لذلك فأنت ترتدى مظهر الاستسلام.. ومازالت الجمره
 شعلة فيك وبك.
 - لا تحاول أن تبعث فيها الحياة.. لقد انطفأت الشموع جميعاً وعم الظلام.
 = الشموع قد تنطفئ، والجمره قد يعلوها الرماد، ولكنها متقدة فى داخلك.
 - لا ترسل نسيم ألفاظك إلى حيث لا تعلم، فإنها لو أشعلت الجمره من جديد فلا أحد يعرف كيف
 سأنفجر، سأتحطم تماماً وقد أحطمك معى.. ألا تسمع عن المرضى الذين يقتلون.. أنا أشعر الآن
 بالطريق إلى ذلك، إن هذا يحدث من إعادة اشعال هذه الجمره، إياك أن تقترب منها داخل أى منا، دعه
 يكتوى بنارها المتسحبة تحت الرماد حولها حتى يحترق ويموت.
 = إذن فهناك جمره.
 - تحترق.. فهيا ساعدها بعقاقيرك المهدئة العظيمة لتتطفئ إلى رماد.. أرجوك لا تهيجها
 بألفاظك المثيرة.
 = بل العقاقير تهدئها مرحلياً حتى تصبح طاقة قادرة على الاستمرار.

بل أنت تائر على تصوّر فشل
 الثورة، لذلك فأنت ترتدى
 مظهر الاستسلام.. ومازالت
 الجمره شعلة فيك وبك

لا تحاول أن تبعث فيها
 الحياة.. لقد انطفأت الشموع
 جميعاً وعم الظلام.

الشموع قد تنطفئ، والجمرة قد يعلوها الرماد، ولكنهما متحدة هي داخلك

بل بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أديت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا نحو الغد، وهكذا

- وماذا بقى منى حتى أستمر؟
= كل هذه الخبرات لابد أن تتجمع.. وتعود إلى حياتك العادية، لتجعل العالم كله غير عادى.. بالتطور والعمل والاستمرار.
- ولكنى فشلت.. فلماذا التطور ، هذه كلمة خبيثة خادعة، يبدو أن التطور هو خدعة تاريخية.
= ليس تماما، وبالذات بعد خبرتك هذه.
- ولماذا أنا بالذات؟
= لأنك مرضت، إذن فقوتك الداخلية أكبر من سائر البشر، إذن فأنت تحمل رسالة التطور.
- وهذه الرسائل التى آمنت بها حتى كفرت بها، ألم تكن وسيلة للتطور.
= وهى هى دليل التطور.
- إذن لماذا احترقت بنارها وشككت فى كل شئ.. على فكرة أنا أشك فيك.
= هذا بديهي.
- وأرى خيالات وصورا وأشياء كثيرة من حولي.
= مثل ماذا؟
- أرى أفلاطون وأرسطو وبعض الأنبياء، أى والله أحيانا أعيش فى جمهورية أفلاطون، وأحيانا أنام فى غار حراء.. ما أجمل كل هذا رغم كل شئ...، أن تعيش مع هؤلاء الذين استمروا ليغيروا العالم دون أن يمرضوا، ولا أن ينهاروا، ولكن من يدري؟ لعله لو كان هناك أيامها طب نفسى كنتم قلتم أنهم مرضى.. كل شئ جائز، فالعلم الخبيث خليك أن يشوه كل شئ، أن يعطى رقما رمزيا أو إسما تشخيصيا لكل نبض إنسانى، حتى لو كان نبيا، على فكرة.. ما اسم مرضى؟
= ليس لمرضك اسم.
- طبعا... تخفيه لأنه الجنون.. فما معنى الجنون؟
= أنا لا أعرف معنى لهذا اللفظ... ولكن ما أنت فيه هو أزمة التطور.. أما ما يسمونه جنونا فأنا لا أعرفه إلا حين تتم الهزيمة الكاملة.
- ولكنى هزمت نفسى... فعلا.
= ليس بعد.
- إذن ماذا؟
= لا بديل للاستمرار.
- فما تفسير هذا الفشل كله؟
= لقد نسيت أن تطور الانسان يحتاج لآلاف السنين.
- إذن لا بد أن أعيش آلاف السنين حتى أتطور.
= بل بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أديت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا نحو الغد، وهكذا.

قال:

- لقد خطوت خطوات وخطوات، وفى كل طريق حسبت أنه يوصل، ولكن الناس... السادة الكبار.. أفقدونى ثقتى بالمبدأ وبالكلية وبالحق وبالغد.. هذه هى نهاية الطريق.. حطام فى حطام.
قلت:

- = بل إنها محنة على الطريق.. إن المبدأ لا يعيبه تأخر تحقيقه أو صعوبة تطبيقه؛ كل إنسان لابد أن يأكل ويعيش، لابد للحق أن ينتصر، لابد للحرية أن تزدهر، فقط... الوقت، الإشكال الآن هو أن إنسان أمس بخوفه وضعفه ونقصه، يطبق اليوم.. نظرية الغد، فينشأ التضارب والفشل، ولكن الفشل

فى التطبيق لا ينبغي أن يفقدنا الثقة فى المبادئ.. وفى الغد.. وفى التطور.

.....

.....

وبعد

إن المبدأ لا يعيبه تأخر
تحقيقه أو صعوبة تطبيقه؛ كل
إنسان لابد أن يأكل ويعيش،
لابد للحق أن ينتصر، لابد
للحرية أن تزدهر،
فقط... الوقت

لم أكن أتصور أننى أقحمت مفهوم التطور بهذا الإلحاح وهذه المباشرة فى هذا الحوار مع هذا
الصديق الذى كاد يحترق حين طاحت منه شعلة المبادئ والثورة والحماس حتى راحت تشعل حريقاً
يكاد يأتى على كل مبادئه وطموحاته وتاريخه وآماله، بل وصحته وهو يهدد تماسكه.
طبعا هذه المباشرة تقلل من القيمة الأدبية للنص، ربما لهذا كانت علاقتى بهذا العمل متواضعة، أما
ما اكتشفته الآن من أنه علامة على تاريخ تطور فكرى، فلعله اعتذار مناسب لتواضع الإبداع!!
إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhaw/RakD280418.pdf

*** ** *

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي، رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** ** *

ش.ع.ن: انجازات اربعة عشرة عاماً من الكدح "

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003)

الكتاب السنوي الرابع

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3

*** ** *

اشترائكم... ابداءكم... اصدارتكم الشبكة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3